

## أثر البرامج التلفزيونية الغربية المستوردة على التنشئة الاجتماعية للطفل العربي المسلم

بن سعدية مليكة

طالبة دكتوراه تخصص اتصال، وسائل الإعلام والمجتمع، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم

مقدمة :

يعتبر الإعلام بوسائله المتطورة أقوى أدوات الاتصال العصرية، التي تعين المواطن على الاطلاع عما حوله من أحداث والتفاعل معها، مما أنتج ثورة الاتصال والمعلومات التي لن تتوقف مع حاجة الفرد المستمرة في الوصول إلى المعلومات والابتكار والتغيير المستمرين في تكنولوجيا الاتصال. فالإعلام هو سبيل الأمم في التأكيد على هويتها وفرضها وسط الشعوب، فهو المرآة التي تعكس أوضاع الأمة وأدائها في نشر مبادئها و قيمها ومفاهيمها وصياغة المجتمع وفقها، فما انتشرت ثقافة أمة في عصرنا الحالي إلا بقوة إعلامها، وما تراجعت أخرى وانزاحت إلا بضعف وسائلها وفتور إعلاميها.

والصناعة الإعلامية الموجهة للأطفال عبر التلفزيون تعتبر من أخطر الصناعات الإعلامية خاصة مع انتشار الصحون وكثرة القنوات التلفزيونية والانتشار الواسع للإنترنت و عولمة الصوت والصورة. حيث حمل هذا الانتشار معه أساليب أكثر تطوراً لاستمالة الطفل والتأثير فيه والسيطرة على عقله، لكن الأمر الأكثر خطورة أن غالبية المنتجين في هذا القطاع هم شركات أجنبية لها معاني غريبة لمفهوم التثقيف، التربية والتنشئة تتعامل مع إعلام الطفل بمنطق السوق والركوض وراء الربح دون الاهتمام بالقيم، خاصة وأن هدفها شريحة واسعة يتسع حيزها باستمرار وهي فئة الأطفال. فهذه الشركات تعمل على أساس أن الطفل هو كيان قابل للتشكيل حسب الميولات والرغبات المقصودة كما أنها تدرك جيداً أهمية الطفل في بناء المجتمع وترى أنه رهان لاكتساب المستقبل، فالطفل هو الغد وما يرسم هذا الغد هو نوعية التربية والتلقين التي تقدم لهذا الطفل في الحاضر ولهذا تسعى أن يكون إنتاجها نموذجاً مثالياً يقتدي به الطفل ونمطاً للمتابعة والتقليد، ويمكن لنا تصور حجم الأخطار والسلبيات الناجمة عن خروج هذه المحتويات عن سياقها الحضاري الذي أنتجت فيه، حيث يتغير المرسل إليه وهو الطفل ويصبح ابن بيئة مغايرة معرض لإنتاج غريب عنه، أما المرسل والرسالة فيحافظان على جوهرهما، وهو حال الطفل العربي المسلم خاصة وأن أكبر الفئات المستوردة لهذا الإنتاج الغربي هم العرب المسلمون وهنا يتغير المرسل والمرسل إليه لكن الرسالة تبقى ذات مصدر غربي، مما يخلق حالة من التشوه النفسي والقيمي لدى الطفل المسلم الذي يجد تناقضاً بين ما يقدم له من طرف وسائل الإعلام عامة والتلفزيون خاصة، وما يعيشه داخل أسرته ومجتمعه فتكون بداية الانحراف

والسلوك والوعي غير السويين، ويصبح أمر التقويم صعب المنال مع تقدم الطفل في السن واقتناعه بأن ما تبثه هذه المحتويات الأجنبية هو الحقيقة السائدة والانعكاس الأمين لما عليه المجتمع. ولهذا كان من واجب القنوات العربية التي تخصص مجالاً لبرامج الأطفال أن تراعي مآثره من برامج من شأنها أن تؤثر على شخصية وقيم الطفل العربي المسلم، فما فما يشاهده هذا الأخير من برامج ينتج عنه تعلم ومحاكاة لأنماط السلوك المشاهد<sup>(1)</sup>. ومن خلال هذه الورقة البحثية نحاول معرفة أثر استيراد برامج الأطفال التلفزيونية الغربية على التنشئة الاجتماعية للطفل العربي المسلم، من خلال الإجابة عن السؤال التالي: ما هو أثر استيراد برامج التلفزيون الغربية الدخيلة على تنشئة الطفل العربي المسلم؟

- يكتسب الطفل السلوك الاجتماعي عندما يقوم بسلوك يتفق مع مجموعة القواعد والأعراف والتقاليد التي يقرها المجتمع الذي نشأ فيه، ويتطور هذا السلوك في الفرد بالقدر الذي يكتسب فيه هذه القواعد ويصبح أكثر وعياً لها.<sup>(2)</sup> وبالمقابل يعتبر التلفزيون من بين العوامل التي تشترك في صنع سلوك الطفل باعتباره أحد أدوات التنشئة الاجتماعية للطفل التي تعتبر من أهم العليات الاجتماعية فهي تحول الطفل من كائن بيولوجي أو مادة إنسانية خام في الدعامه الأولى التي تتركز عليها مقومات الشخصية. والتنشئة الاجتماعية هي العملية التي تتعلق بتعليم ما يجب وما لا يجب أن يفعله الفرد في ظل الظروف المختلفة، فهي تكسب أفراد المجتمع القيم والرموز الرئيسية للأنساق الاجتماعية التي يشارك فيها، كما تكسبه المهارات وأنماط السلوك المختلفة. كما أنها عملية اكتساب الفرد لثقافة مجتمعه ولغته ومعانيه والمعاني والقيم التي تحكم سلوكه وسلوك الغير والتنبيه باستجابات الآخرين والتفاعل معهم بإيجاب.<sup>(3)</sup> كما لا يخفى أن هذه الخصائص السالف ذكرها والمحددة لتعريف التنشئة الاجتماعية هي من بين أهم وظائف التلفزيون خاصة وأنه أكثر وسائل الإعلام انتشاراً فلا يكاد يخلو بيت إلا وبه تلفزيون، مما جعله يؤثر و بقوة على كل أفراد المجتمع الذين يتعرضون لمشاهدته خاصة الأطفال منهم لأنهم أكثر عرضة لمحتوياته مع تراجع دور الآباء في مراقبة واختيار البرامج التي تصلح لتنشئة أطفالهم تنشئة حسنة، فأصبح بإمكان الطفل أن يستغني عن الأكل والشرب لساعات طويلة لكن لا يمكنه أن يستغني عن برنامج المفضل في وقته المحدد، ويجعل مما يتعلمه من

تلك المحتويات خطى ينتهجها في حياته اليومية دون تمحيص لما ينفعه أو يضره، فالتلفزيون قد يؤثر على الطفل إما إيجاباً أو سلباً حسب نوعية المحتويات المبثّة من خلاله حيث أثبتت جميع الدراسات النفسية والإعلامية أن الطفل من أكثر مشاهدي التلفزيون تأثراً بأفلام العنف حيث أن الطفل الذي يشاهد تلك الأفلام يتسم سلوكه بالعدوانية بدرجة تزيد مرتين عن طفل لا يشاهد مباريات الملاكمة، المصارعة، أفلام رعاة البقر، الأعمال الدرامية التي تقوم على الحركة والجريمة، وحتى مشاهدة الأخبار التي تمتلئ بصور القتل والإبادة والعنف، لأن ذلك التأثير لدى الطفل يحدث خارج نطاق وعيه وإدراكه بل يتم تأثره لا شعورياً، كما يعتبر التلفزيون من أخطر أنواع التلوث وأشدّها إيلاماً وأكثرها تغلغلاً في نفوس الأطفال بل وقد تصل المشاهدة بالطفل أحياناً إلى الإصابة بالأمراض النفسية والتبول في الفراش أو الذعر والكوابيس إضافة إلى التكبّير بتفجير شهواته وغرائزه الجنسية .

ومن نتائج دراسة الباحث " تشارترز" حول الدراما الأوربية 30% موضوعات جنسية، 27.5% منها يتناول موضوعات عن الحب بمحتواه الشهواني العصري المكشوف. وفيما يخص البرامج العربية تبين في دراسة عن الكرتون المصري و دوره في تدعيم الهوية لدى الأطفال قام بها الدكتور محمود احمد فريد بكلية التربية جامعة حلوان أن مسلسل "بكار" قد عكس بعض السلوكيات السلبية على الأطفال مثل: الخروج على القانون وجاء في المرتبة الأولى وعدم المحافظة على الممتلكات العامة، السرقة، عدم المحافظة على البيئة و عدم المساواة بين الولد والبنت. (4) وفي دراسة أجريت في الكويت لاستطلاع رأي المشاهدين في دورة تلفزيونية صباحية جاء في نتائجها أن غالبية أفراد العينة 97.5% يرون أن بث الدورة الصباحية قد حد من خروج الأطفال من المنزل، وهذا دليل قدرة التلفزيون على الاستحواذ على اهتمام الطفل ومن ثم تدخله الشديد في تشكيل اتجاهاتهم وتحويل سلوكهم و منعهم من ممارسة الأنشطة الأخرى، كاللعب، القراءة، ومزاولة الهوايات والاختلاط في المجتمع حيث أن 52.4% من مجموع العينة يرون أن الدورة الصباحية ساعدت على انصراف الأطفال عن أصدقائهم، ويتضح من هذه النسب أن التلفزيون قد أثر إلى حد كبير في منشط يعتبر من المناشط الهامة التي تعتمد عليها التنشئة الاجتماعية والنفسية للطفل (5). وأحياناً تكون المشاهدة من الطفل نوعاً من التنفيس عما يشعر به من قهر أو إحباط أو اكتئاب نتيجة شيء ما واجهه في المنزل أو في المدرسة، فالتلفزيون يقدم نماذج من السلوك تفرض نفسها بقوة على الأطفال من خلال محتوى النصوص الروائية أو الأدوار التي يؤديها الممثلون ومن خلال مجموعة المؤثرات في

الحركة والنغمة والأسلوب والموقف والتي تتآلف مع بعضها لتبرز إيجابيات وسلبيات سلوك أو قيم اجتماعية معينة . (6)

كما يؤثر التلفزيون مباشرة على درجة انجاس الأطفال لواجباتهم المدرسية وعلى الطريقة التي يتبعونها في انجاز هذه الواجبات وهذا ما أسفرت نتائج خاصة بطلبة المرحلة المتوسطة في الكويت وقد أوضحت في نتائجها أن: 37 طفل أي ما يمثل 37.6% من نسبة العينة ينهون جزء من واجباتهم المدرسية و يكملون الجزء المتبقي بعد مشاهدتهم للبرامج التي يفضلونها . (7)

وفي دراسة للدكتور ناجي تمار تحت عنوان تأثير برامج الأطفال في التلفزيون الجزائري على معلومات تلاميذ التعليم الأساسي الطور الثاني توصل إلى النتائج التالية: أن معظم البرامج الموجهة للأطفال مستوردة من عدة جهات وكلها مدبلجة وأن مواقيت عرض البرامج لا تتناسب مع وقت فراغ معظم التلاميذ، كما أن بعض القيم التي تطرحها البرامج لا تتوافق ولا تتناسب مع القيم التي تقدمها المناهج الدراسية الجزائرية مع عدم مراعاتها لمراحل النمو لدى الطفل (8).

كما يشير عبد الحميد حيفري في بعض نتائج دراسته التي تناولت برامج التلفزيون الجزائري بالدراسة والتحليل والنقد أن برامج الأطفال تبث مرة كل أسبوع تتضمن برامج خاصة بهم وفي مستوى تفكيرهم، غير أنها تتضمن بعض الخصائص مثل العنف، أما التسلية عادة ما تأتي في حلقات يكون بطلها طفل يتقمص شخصية البطل وهذا ما يجعل الأطفال يشاهدونها ويتأثرون بها ويتفاعلون معها، كما يرى أن تلك البرامج تعرض في مجموعها اهتمامات بعيدة كل البعد عن الأطفال الجزائريين وغالبا لا تمت بأية صلة للقيم الأخلاقية والثقافية التي يحتكون بها لأنها اعتمدت خصيصاً لأطفال يعيشون ضمن مجتمعات لها مشاكلها الخاصة وقيمها ومثلها المغايرة تماماً لمشاكلنا المعاشة. (9) وللتصدي لهذا الغزو والخطر الثقافي الأجنبي الموجه لأطفالنا كان لابد من وضع خطط إعلامية منهجية عربية إسلامية تتطلب تظافر الجهود بداية من الحد من استيراد تلك المنتجات وتشجيع الإنتاج المحلي كبديل إعلامي عربي إسلامي متواحد جنباً إلى جنب مع المنتج الإعلامي الغربي في عصر الفضائيات والمعلومات، لا أن يكون إنتاجاً منقولاً عن برامج الغرب وقيمهم وعاداتهم مثل ما هو حال غالبية البرامج العربية الإسلامية والحل المؤمل ينبغي أن يتناسب مع حجم المشكلة ومع حجم الآثار الكبيرة التي حدثت وتحدث في محيط الثقافة الإسلامية من جراء هذا السيل الجارف من القيم الوافدة وبسبب ضعف القدرات الإعلامية المحلية وعجزها على حمل الثقافة الدخيلة والتأثير بقيمها وبناء الأفراد بناءاً يصمد أمام هذا السيل الجارف. (10) يقول الدكتور عبد الله التركي

في هذا "ينبغي أن نعلم أن الأدب في غالب العالم الإسلامي قد انفك عن المنهج الصحيح والمنطلق والمسار والهدف ووقف وراء هذا الانفكاك عوامل ذاتية منها: شيوع الجهالة وجهود التفكير، هبوط الاهتمام والابتعاد عن الأصول وفساد الحس الجمالي، وعقم مناهج تعليم اللغة والأدب، كما يقف وراء الانفكاك عوامل خارجية على رأسها الغزو الفكري الذي يعد الأدب مجالاً من أوسع مجالاته، فلقد قلدت الحركات الأدبية في العالم الإسلامي مناهج الفرنجة في الأدب ففضل هذا التقليد بينها وبين المنهج الإسلامي في الأدب. (11)

**خاتمة:**

بما أن الطفل هو أهم شريحة في تكوين المجتمع لأنه رجل الذي سيتولى زمام الأمور في المستقبل، فما يكتسبه في طفولته من معارف وأفكار وقيم سينعكس على أفعاله و شخصيته مستقبلاً، لهذا كان من الضروري الحرص على تكوين الطفل تكويناً سويًا أساسه القيم الإسلامية من خلال الاهتمام بتنمية الشعور الديني لدى الأطفال لأنهم في مرحلة من النمو العقلي الذي يمكنهم من الإدراك الموضوعي والفهم السليم للدين الإسلامي عن طريق قيادة الطفل نحو أفكار خلقية صالحة تظهر الفرق بين الحسن وما يترتب عنه من محاسن والقبیح وما يترتب عنه من مضار إضافة إلى احترام القوانين الخلقية التي تأتيهم من الكبار وأيضاً أكسابهم القيم الخلقية السليمة كالآداب في التعامل مع الآخرين والحديث والصدق (12). فالطفل يحتاج اليوم إلى إعلام ملتزم يحقق له السعادة في الدارين، ونحن المسلمون نفتقد الإمكانيات الحديثة التي تؤهلنا للقبض على مقود الإعلام بشكل عام، فالبرامج التلفزيونية غير متوفرة حالياً بشكل واسع، وإن وجدت فإن معظمها يفتقر لأسلوب الجذب والتشويق والمتعة، والطفل اليوم لم يعد يقبل تلك البرامج التي لا ترضيه بسهولة وهذا لإمكانية توفر برامج ترفيهية في محطات تلفزيونية أخرى. (13)

ولهذا فمن الواجب استغلال هذه الوسيلة العملاقة في التأثير على الأطفال بشكل إيجابي يغني حياتهم ويثري خبراتهم ويزيدهم إمتاعاً وتسلياً من خلال إنتاج أدب عفيف وملتزم ينمي جوانب الخير والهداية لدى الطفل ويكون نموذجاً وبديلاً إسلامياً في سد الهوة التي أحدثتها الإنتاج الغربي في أوساط أطفالنا، وجعله نبراساً يحتذي به الطفل المسلم بعيداً عن مغريات التثقيف الغربية، في شكل حكايات، قصص، تمثيلات، رسوم متحركة، وألعاب، كذلك من خلال تنمية الهوايات والدراما والمسابقات التي تكون حسب مستوى كل فئة عمرية من الأطفال من حيث السن، الانتماء الديني والبيئة الاجتماعية لهم. فبرامج الأطفال يجب أن تقوم على مجموعة من الأسس الهامة كان تكون برامج هادفة شاملة تساهم في تنمية ثقافتهم

وفي تطوير قدراتهم اللغوية واستخدام اللغة الفصحى بشكل يناسب قدرة الأطفال اللغوية بعيداً عن استخدام اللهجة المحلية واللغة العامية إلا في المواقف اللازمة والضرورية والاجتماعية والوجدانية والأخلاقية وتبعث في نفوسهم البهجة وتحفزهم إلى التفكير الإبداعي وتنمي لديهم القيم الدينية والاجتماعية المطلوبة كالتعاون، التسامح، العدالة، احترام الآخرين، استثمار الوقت تنمية الوعي البيئي... وغيرها، والابتعاد عن تنمية الخيال المدمر والعنف الذي يترك آثاراً سلبية على سلوكهم، كما يجب أن تكون هذه البرامج واقعية تعكس واقع حياتهم و تخدم متطلباتهم حتى يظلوا مرتبطين ببيئتهم و يحملوا في نفوسهم واجب خدمتها والانتماء إليها. (14)

الهوامش:

1. سهير فارس السوداني، البرامج التلفزيونية و قيم الأطفال، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر و التوزيع، ط2009، 1، ص2.
2. سهير فارس السوداني، نفس المرجع السابق ص 19.
3. ياسين الخطاب، زهدي محمدعبد، خالد النش، التنشئة الاجتماعية للطفل، الدار العلمية الدولية ودار الثقافة للنشر و التوزيع ، ط2003، 1، ص10.
4. دويدار الطاهر دويدار، التلفزيون ودراما الطفل، مجلة الفن الإذاعي، صادرة عن اتحاد المصري، العدد189، جانفي 2008، ص 31-32.
5. سعيد مبارك آل زعير، التلفزيون والتغير الاجتماعي في الدول النامية، مكتبة الهلال، بيروت، 2008، ص207.
6. سهير فارس السوداني، مرجع سبق ذكره ص 249.
7. سعيد مبارك آل زعير، التلفزيون و التغير الاجتماعي، مرجع سبق ذكره ، ص 211.
8. ناجي تمار، تأثير برامج الأطفال التلفزيون الجزائري على معلومات تلاميذ الطور الثاني من التعليم الأساسي، دراسة ميدانية في ولاية الجزائر رسالة دكتوراه، قسم علم النفس وعلوم التربية، جامعة الجزائر 2005-2006.
9. عبد الحميد حيفري، برامج التلفزيون الجزائري، رسالة ماجستير، معهد علم الاجتماع، جامعة وهران، 1982، دراسة سابقة في رسالة الدكتوراه لناجي تمار .
10. -سعيد مبارك آل زعير، التلفزيون و التغير الاجتماعي في الدول النامية ، مرجع سبق ذكره، ص 280.
11. سعيد مبارك آل زعير ، التلفزيون و التغير الاجتماعي في الدول النامية، نفس المرجع ص 262.
12. منى كشك، القيم الغائبة في الإعلام ، دار فرحة للنشر والتوزيع ،السودان ، 2003، ص136.
13. طارق أحمد البكري، قراءات في التربية و الطفل و الإعلام ، دار الرقي للطباعة والنشر والتوزيع ، 2005، لبنان نص ص 42-43.
14. منى كشك، القيم الغائبة في الإعلام ، مرجع سبق ذكره، ص 137-138.

